غضبان الرومي .. باحثاً ومربياً (١٩٠٥- ١٩٨٩)

باسم عبد الحميد حمودي

يدفعنا تقديم كتاب الاستاذ غضبان الرومي الناشي (مذكرات مندائية) للحديث عن نشاط هذا الباحث المهم في الديانة المندائية وفي التراث الشعبي وهو اضافة لذلك احد الاوائل التربويين العراقيين الذين دخلوا باب التعليم في وقت مبكر فقد كان معلم العمارة الاول، اذ تخرج معلماً عام ١٩٢٣، وتم تعيينه في مدينته التي ولد فيها (قلعة صالح) حيث ظل فيها عدة سنوات ثم نقل الى العمارة ثم الى مدن عراقية شتى حتى استقر في بغداد سنة ١٩٥٠ معلماً للغة الانكليزية في اهم مدرسة ابتدائية يومها وهي المدرسة المأمونية ثم مدرسة تطبيقات دار المعلمين ثم نقل عام ١٩٥٢ الى التدريس في المدرسة الغربية المتوسطة حتى عام ١٩٦٣ حيث احيل على التقاعد.

اهتم غضبان الرومي بشؤون اللغة والديانة المندائية وكان من اوائل الشباب الذين انصرفوا الى تعلم اللغة المندائية وفك اسرارها ليتمكن من معرفة اسرار وتفاصيل ديانته التي نشأ عليها واخلص لها.

كان يتابع الدرس والتثقيف في شتى المجالات مخلصاً لعملة التربوي الاداري فقد كان واحدا من أنشط مدراء المدارس.

اضافة لذلك كان غضبان الرومي مهتما بتاريخ الصابئة وديانتهم وقد طلب من الاستاذ منير القاضي عام ١٩٥٠ وكان سكرتيراً لمجلس الوزراء ثم وزيراً للمعارف فيما بعد، ان يكتب كتاباً عن تاريخ المندائيين وديانتهم لتعريف الاخرين بها فوعده خيراً ثم بدأ العمل مع زميله نعيم بدري لانجاز اول كراس عن الطائفة نشر بعنوان (الصابئيون في العراق) عام ١٩٥٥ فلقي اهتماماً كبيراً لكن الاستاذ القاضي دفعه للعمل بشكل اوسع فأشترك مع نعيم بدري بتأليف كتاب واسع عن الديانة المندائية وبأشراف الدكتور عبد الجبار عبد الله لكن مسودات هذا الكتاب الواسع فقدت اثناء حملة اعتقال الاستاذ بدري.

برغم كل هذا فقد انجز الراحل غضبان الرومي عدة كتابات منها صابئة العراق-تعاليم دينية لابناء الطائفة الصابئة المندائيون لليدي دراور ترجمة عن الانكليزية بالاشتراك مع نعيم بدري -كتاب النبي يحيى- الصابئة، وله كتب اخرى غير مطبوعة وهذا الكتاب الذي اصدرته دار المدى عام ٢٠٠٧.

يقدم اطلالة مهمة على جهود الرومي وبنيته وحياته وثقافته ويعكس جوانب من تاريخ العراق الاجتماعي الثقافي.

فصول من مذكرات مندائية

غضبان الرومي

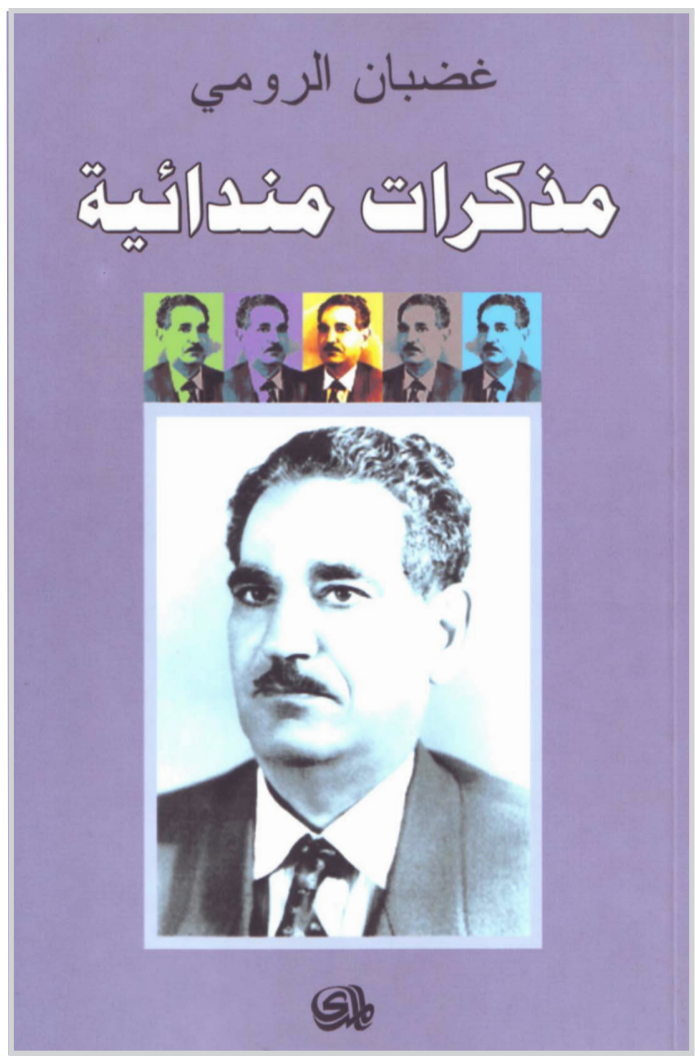

الولادة

يقال بأني ولدت في السنة التي شبت الحرب فيها بين عشائر بني لام وعشائر البو محمد. وكان رئيس عشائر بني لام انذاك غضبان البنية، وعشيرته تسكن بين كحلوب والعمارة. وفي تلك الحرب ولدت. ولما كان غضبان هو الغالب، فقد سماني بهذا الاسم والدي المرحوم رومي بن عكلة بن عران بن خيري بن ناشي بن عبد الله ابن الشيخ بهرام الكبير. وبعد التدقيق ثبت لي ان تلك الحرب وقعت عام ١٩٠٥, على هذا ان ولادتي كانت في تلك السنة.

سكن الصابئة قلعة صالح التي اسست عام ١٨٦٥ وفي العمارة التي اسست عام ١٨٦٠, كانت الاحوال مضطربة ويتحكم بامور المجتمع شيوخ العشائر الذين كان نفوذهم يطغي على نفوذ الحكومة العثمانية هناك.

الاوضاع الاجتماعية

كبرت في قلعة صالح وترعرعت هناك. واول امر اذكره ورسخ في ذهني هو زواج اختي الكبرى المرحومة نوفة من المرحوم شيخ عبد الله الشيخ سام. وقد كانوا يسكنون في بيوت طينية واقعة بين دجلة وبين بساتين النخيل المحاذية للنهر. كانت الحالة الاجتماعية للناس متأخرة جداً والمعيشة بسيطة. وكانت العملة المستعملة هي نقود ايرانية اسمها القران الذي يساوي عشرين فلساً، والربع خمس بارات، وكانت هناك عملة اخرى تركية تسمى المجيدي وقيمتها عشر قرانات. سكن الصابئة قلعة صالح وقد اعطت الحكومة العثمانية ارض محلة الصابئة الحالية الى عائلة كرسوع، وهو من الخميسية، وبدأ كرسوع بتوزيع اراضي المحلة على ابناء الصابئة، وكرسوع جد والدي لانه ابو امه صينية. كان يسكن قلعة صالح كثير من المسلمين الذين هاجروا اليها ايضاً وكذلك عدد من يهود العزير. وسكان قلعة صالح محاطون بعشائر البو محمد وبني مالك، وهؤلاء الاقوام لايعرفون من الحياة الا الزراعة والسطو والنهب ليلاً، وكثيراً ما كان الناس يقتلون في الشوارع من دون حساب او مسؤولية. ولم تكن القائمقامية ولا الحكومة التركية المتمثلة بالجندرمة تهتم بما يقع في البلدة. كانت معيشة الحكام على الرشوة.

سكن اهلنا في محلة خاصة من قلعة صالح سميت محلة الصابئة على الضفة اليسرى من نهر دجلة. والنهر هناك كثير التعاريج.وكان افراد طائفة الصابئة يحيون حياة بسيطة ملتصقين ببعضهم البعض خوفاً من هجمات او دفعاً لهجمات العشائر المحيطة من كل جانب، كنا نعيش اول الامر في بيوت قصبية داخل حيطان من طين، وهذه البيوت مبنية من قصب الاهوار وحصران (البواري) مصنوعة من القصب ايضاً يغطى بها البيت من اعلاه، وشكل الاكواخ شبيه بما موجود في الاهوار حالياً. يتكون بيت القصب من خمسة شباب او اكثر من القصب تقوس الى الاعلى ثم يوضع عليها عرضياً بين الشباب حزم من القصب تسمى هطر ثم تربط الهطر مع بعضها ومع الشباب. والهطار حزمة من القصب على طول البيت تربط على الشباب ثم يوضع فوقها بردي على طول البيت بشكل عمودي وتشد وتوضع فوقها البواري. في بيت والدي كان هناك بيت قصب كبير يستعمل للنوم، والثاني يسمى المضيف لاستقبال الضيوف، اما الحيوانات فتحفظ بعيداً عن بيوت القصب. كان يعمل من فضلات البقر (المطال) وهي اقراص كبيرة تجفف وتستعمل كوقود بالاضافة الى سعف النخيل والكرب(الكربة هي الجزء الاسفل والعريض من السعفة) وكذلك الشوك الذي تلتقطه النساء من البرية.

ولم يكن هناك وسائل للتدفئة او للطبخ من وقود اخر غير ماذكرت. ويستعمل هذا الوقود اما في التنور لعمل الخبز في المواقد لطبخ الطعام. يصنع التنور من الطين المخدوم كثيراً، وهو على شكل مدور ذو فوهة ضيقة يوضع على احجار ثم يغطى بطبقة طينية، وتبنى على جهتي اليمين والشمال منه وسائد طينية عالية ليوضع عليها العجين او الخبز.

والنساء يقمن بصنع التنور بأنفسهن كما يصنعن (السدامجة) وهي اصغر من التنور حجماً ولها غطاء وفيها ثقب صغير يستعمل لحفظ التمن او الطحين او الملح. والميدة هي التي توضع فيها الرحى، وتستعمل لجمع الطحين بعد طحنه في الرحى.

قلعة صالح

تقع قلعة صالح، على الجهة اليسرى من نهر دجلة وتمتد من الغرب الى الشرق الجنوبي على ساحل دجلة، ويبلغ طولها نحو الكيلو متر. وكانت تتكون من مجموعة من البيوت الطينية والقصبية كما وصفناها. والبيوت مبنية مباشرة على ضفاف النهر، وخلفها بساتين نخيل واسعة، ومن الجانب الثاني لنهر دجلة أي الجهة اليمنى، ولاتوجد بيوت وانما بساتين نخيل فقط، وهي تعود الى العشائر المذكورة سابقاً. ولم يكن هناك جسر يربط الضفتين، ويتم العبور بالبلام (بلم: زورق) ويطلق على منطقة العبور المعبر. وكان هناك زورقان كبيران واحد في كل جهة. والمعبر عبارة عن بلم كبير يسع اكثر من خمسة عشر شخصاً وتعبر عليه الحيوانات ايضاً. وكانت اجرة العبور اربع او خمس بارات للشخص الواحد. ثم ازدادت الى نصف قران أي عشر بارات. وفي الحرب العالمية الاولى وضعت طبكة تواجه مركز البلدية، وهي عبارة عن دوبتين مربوطتين مع بعضهما ومسمر عليهما خشب مثبت على الجهتين وتكاد تشبه الجسر المتحرك. وكان العبور ملتزم من قبل اشخاص يلتزمونه من البلدية. وفي وقت الاحتلال البريطاني تبدلت العملة وصارت الروبية. فكانت العبرة (العبور) بعشرة فلوس. واستمرت الحالة الى اواخر الستينيات حيث بني جسر ثابت في موضع الطبكة.

العلاقات الاجتماعية

ويقع السوق في مركز المدينة ويمتد من الشمال الى الجنوب متقاطعاً مع البنايات الحكومية والمدرسة وجامع السنة ومنارته في الجهة الجنوبية وبعده جامع الشيعة. والسوق بحد ذاته يشبه اسواق العراق الاخرى لانه متكون من دكاكين صغيرة متلاصقة لبعضها البعض مربوطة من الاعلى بسقف جمالي يمنع المطر وكذلك يقي الناس من شدة الحر.معظم الدكاكين في وسط السوق للبزازين وتجارها من المسلمين واليهود والصابئة كما تباع فيه الخضر والبهارات والسكاير والسكر والشاي، وفي المقدمة، مقابل جامع السنة دكاكين للصياغ منهم دكان رمان بن دوار الصابئي كذلك لامي بن عبود الدهيمس وغيرهما، وفي الجنوب عدة دكاكين للصاغة وفي الوسط اهل الزجاج والفوانيس، ويقع مقهى المسلمين في المقدمة القريبة من النهر ويقابله مقهى اليهود، وفي اخر السوق ايضاً مقهى للشيعة، وهذا يعكس الانقسام الاجتماعي بين الطوائف الدينية المختلفة وكان الاختلاط مقصوراً فقط على الدوائر الحكومية والمعاملات العامة، وكان الاختلاط المذكور سابقاً. ولم يكن هناك جسر يربط الضفتين، ويتم العبور بالبلام (بلم: زورق) ويطلق على منطقة العبور المعبر. وكان هناك زورقان كبيران واحد في كل جهة. والمعبر عبارة عن بلم كبير يسع اكثر من خمسة عشر شخصاً وتعبر عليه الحيوانات ايضاً. وكانت اجرة العبور اربع او خمس بارات للشخص الواحد. ثم ازدادت الى نصف قران أي عشر بارات. وفي الحرب العالمية الاولى وضعت طبكة تواجه مركز البلدية، وهي عبارة عن دوبتين مربوطتين مع بعضهما ومسمر عليهما خشب مثبت على الجهتين وتكاد تشبه الجسر المتحرك. وكان العبور ملتزم من قبل اشخاص يلتزمونه من البلدية. وفي وقت الاحتلال البريطاني تبدلت العملة وصارت الروبية. فكانت العبرة (العبور) بعشرة فلوس. واستمرت الحالة الى اواخر الستينيات حيث بني جسر ثابت في موضع الطبكة.

العلاقات الاجتماعية

ويقع السوق في مركز المدينة ويمتد من الشمال الى الجنوب متقاطعاً مع البنايات الحكومية والمدرسة وجامع السنة ومنارته في الجهة الجنوبية وبعده جامع الشيعة. والسوق بحد ذاته يشبه اسواق العراق الاخرى لانه متكون من دكاكين صغيرة متلاصقة لبعضها البعض مربوطة من الاعلى بسقف جمالي يمنع المطر وكذلك يقي الناس من شدة الحر.معظم الدكاكين في وسط السوق للبزازين وتجارها من المسلمين واليهود والصابئة كما تباع فيه الخضر والبهارات والسكاير والسكر والشاي، وفي المقدمة، مقابل جامع السنة دكاكين للصياغ منهم دكان رمان بن دوار الصابئي كذلك لامي بن عبود الدهيمس وغيرهما، وفي الجنوب عدة دكاكين للصاغة وفي الوسط اهل الزجاج والفوانيس، ويقع مقهى المسلمين في المقدمة القريبة من النهر ويقابله مقهى اليهود، وفي اخر السوق ايضاً مقهى للشيعة، وهذا يعكس الانقسام الاجتماعي بين الطوائف الدينية المختلفة وكان الاختلاط مقصوراً فقط على الدوائر الحكومية والمعاملات العامة، وكان الاختلاط المذكور سابقاً. ولم يكن هناك جسر يربط الضفتين، ويتم العبور بالبلام (بلم: زورق) ويطلق على منطقة العبور المعبر. وكان هناك زورقان كبيران واحد في كل جهة. والمعبر عبارة عن بلم كبير يسع اكثر من خمسة عشر شخصاً وتعبر عليه الحيوانات ايضاً. وكانت اجرة العبور اربع او خمس بارات للشخص الواحد. ثم ازدادت الى نصف قران أي عشر بارات. وفي الحرب العالمية الاولى وضعت طبكة تواجه مركز البلدية، وهي عبارة عن دوبتين مربوطتين مع بعضهما ومسمر عليهما خشب مثبت على الجهتين وتكاد تشبه الجسر المتحرك. وكان العبور ملتزم من قبل اشخاص يلتزمونه من البلدية. وفي وقت الاحتلال البريطاني تبدلت العملة وصارت الروبية. فكانت العبرة (العبور) بعشرة فلوس. واستمرت الحالة الى اواخر الستينيات حيث بني جسر ثابت في موضع الطبكة.

العلاقات الاجتماعية

ويقع السوق في مركز المدينة ويمتد من الشمال الى الجنوب متقاطعاً مع البنايات الحكومية والمدرسة وجامع السنة ومنارته في الجهة الجنوبية وبعده جامع الشيعة. والسوق بحد ذاته يشبه اسواق العراق الاخرى لانه متكون من دكاكين صغيرة متلاصقة لبعضها البعض مربوطة من الاعلى بسقف جمالي يمنع المطر وكذلك يقي الناس من شدة الحر.معظم الدكاكين في وسط السوق للبزازين وتجارها من المسلمين واليهود والصابئة كما تباع فيه الخضر والبهارات والسكاير والسكر والشاي، وفي المقدمة، مقابل جامع السنة دكاكين للصياغ منهم دكان رمان بن دوار الصابئي كذلك لامي بن عبود الدهيمس وغيرهما، وفي الجنوب عدة دكاكين للصاغة وفي الوسط اهل الزجاج والفوانيس، ويقع مقهى المسلمين في المقدمة القريبة من النهر ويقابله مقهى اليهود، وفي اخر السوق ايضاً مقهى للشيعة، وهذا يعكس الانقسام الاجتماعي بين الطوائف الدينية المختلفة وكان الاختلاط مقصوراً فقط على الدوائر الحكومية والمعاملات العامة، وكان

الاختلاط الاجتماعي في المجالات الاخرى معدوماً تقريباً.

فاذا جلس صابئي في المقهى فان صاحب المقهى يكسر الاستكان او يطهره بالماء لانه يعتبر نجساً. كذلك يحرم ابناء الطوائف الاخرى مد ايديهم الى طعام الطوائف الاخرى عدا الذي يغسل. لم تكن هناك اسالة ماء فالناس تأخذ الماء مباشرة من نهر دجلة. وينقل بالقرب ثم بالتنكات بوجه عام بوساطة شخص يسمى السقاء. اما الصابئة فكانت نساؤهم تنقل الماء بالقدور او التنكات والمصاخن او السطول الى اوعية تسمى "الحب" او التنك او الاباريق او القدور، والتنكة والحب مصنوعتان من الفخار تسمح بنضح الماء مما يساعد على تبريده، وكذلك يتجمع الطين (الغرين) في قعر الحب والذي شكله في البداية كان مدوراً، ويصنع باليد من الصلصال وهو اكبر حجماً عادة من الكوز وافضل نوعاً. يتجمع الماء الناضح في اسفل الحب حيث يقطر في (الحبانة). كانت تلك طريقة بدائية لكنها فعالة لتصفية الماء. ومع الحب ماعون صغير يغرف به الماء من الحب.

اصداء الحرب الاولى

اغلقت المدرسة العثمانية بعد ١٩١٤، وحين احتل الجيش الانكليزي قلعة صالح في حزيران ١٩١٥ تمركز فيها واحتل العمارة وبعدها بيوم واحد. وبعد فترة وجيزة تعقب الجيش العثماني حتى علي الغربي، وتوقف هناك. كان الجيش البريطاني يأتي من البصرة مشياً على الاقدام واكثره مكون من الجنود الافغانيين والاستراليين، وقد تمركز قسم منه في قلعة صالح التي باتت مركزاً لامرار الجيش الى العمارة فما فوق، فجاءت الروبية بدلاً من المجيدي والقران والبارة.واجزاء الروبية كانت نصف روبية و٢٥ بيزة والعشر بيزات و٤ بيزات وبيزة واحدة وبدخول الجيش الانكليزي دخلت العملة الورقية وقبلها كانت الليرة الذهبية مع المجيدي والقران، ثم جاء الباون الذهبي وعليه صورة الملكة فكتوريا وادورد ووزنه حوالي ١٠ غرامات وذهبه صاف بنحو ٢٢ حباية، اما الروبية فكانت من فضة وكان كذلك نصف الروبية والقران، اما الاربع بيزات والـ ١٠ بيزات فمن النيكل، والبيزة من النحاس الاصفر (الشبه) . وفي سنة ١٩١٩ دخل الدينار العراقي واستعمل بدلاً من تلك العملة، فصارت الروبية تساوي ٧٥ فلساً وابدل الناس فلوسهم الى العملة العراقية.

هتشكوك

كان حكام البلد من الانكليز واتذكر منهم هتشكوك الذي تقدم اليه والدي رومي بطلب يرجو منه فيه ان يفتح لاولاد الصابئة مدرسة. وفي يوم السبت المصادف ١٦حزيران ١٩١٦ فتحت مدرسة قلعة صالح الابتدائية، وعين لها معلم اسمه عباس افندي. فدخلها عدد كبير من ابناء قلعة صالح من مختلف الاديان. وكانت المدرسة تقع على شاطىء دجلة وهي نفس المدرسة العثمانية، واتذكر انني تقدمت الى عباس في صباح احد الايام في كل من فرحان سيف وعزيز لامي ومجيد عزت لتسجيلنا، فنظر الينا وخاطبني بصورة خاصة قائلاً كيف تدخل المدرسة وانت اكبرهم سناً، فأجبته بأني مشتاق جداً للتعلم وسترى كيف اتقدم واسبق كل من دخل قبلي.كان عمري عشر سنوات، وفي نصف السنة نقلت الى الصف الثاني لاني كنت متفوقاً على اقراني وافهم الدروس اسرع من غيري، وكنت اكبر الاطفال سنا، مما جعلني اتقدم وانقل الى الصف الثاني. وفي اخر السنة رفعت الى الصف الثالث. كانت وسائل التعليم بسيطة جداً وكنا نتعلم العربية والانكليزية والحساب والتاريخ والجغرافية بصورة ابتدائية بسيطة. وقد التحق بالمدرسة عدد آخر من المعلمين جيء بقسم منهم من الدكاكين سدا للفراغ والشواغر. لقد كانت الحكومة الانكليزية بحاجة ماسة الى عدد كبير من الشباب الذي يقرأون ويكتبون لتسد بهم حاجتها الوظيفية بدلاً من طلب الهنود او الاجانب الاخرين. وفي سنة ١٩١٨ في الشهر الحادي عشر واليوم الحادي عشر والساعة الحادية عشرة اعلنت الهدنة وانتهت الحرب وطلب الحاكم السياسي من طلاب المدرسة ان يكتبوا شعورهم بهذا النبأ ليعطيهم جوائز. لم نكن نعرف اللغة الانكليزية وادابها ومع ذلك كتبت سطرين باللغة الانكليزية قلت فيهما، انه لما سمعت الدلال يصيح بإعلان الهدنة فرحت كثيراً وجئت الى اهلي راكضاً وبشرتهم بالنبأ، وبضع كلمات اخرى لا اتذكرها. وفي اليوم الثاني طلعت النتيجة فكنت الحائز على الجائزة الاولى واعطيت ١٨ روبية هدية.اما غيري من الطلاب الذين استعانوا بالهنود والانكليز لكتابة الموضوع فلم يصدقهم الحاكم الانكليزي ولم يعطهم شيئاً.

من اعياد الصابئة

للصابئة عيدان، العيد الكبير والعيد الصغير، والاول يقع في شهر آب، وفي هذا العيد الذي يطلق عليه عيد الكرصة كان معظم افراد الصابئة يعودون من اسفارهم خاصة الصاغة منهم، لتبدأ الاعراس والافراح والدفوف. في عيد الكرصة تبقى كل عائلة ستاً وثلاثين ساعة في بيتها لاتخرج الى غيرها. لم نكن نفهم المقصود من هذا العيد سوى انه العيد الكبير. فكانت كل عائلة تهتم بأفرادها فتشتري لهم ثياباً (دشاديش) جديدة، وزبنات (جمع زبون او صاية) واحذية جديدة. وتذبح قبل العيد بيوم خروفاً لعمل اللوفاني (غذاء ديني خاص يعمل للموتى)، وتخزن الماء في قدور وطشوت وتودع الحيوانات لدى الجيران من المسلمين لان لمسها يعد حراماً، وقبل العصر يذهب معظمنا للغطس بمياه النهر اما للطهارة او للنظافة. وفي اول ليلة من ذلك اليوم تدق القهوة وتعد الشاي وتبدأ كل عائلة بتقديم ما حضرت لافرادها من المأكل والمشرب وتتواصل المسرات حتى الفجر.

في نهار اليوم الثاني يصبح الاولاد باكرين فيقبلون أيادي ابائهم وامهاتهم، ويبارك افراد العائلة بعضهم بعضاً بالقبل والتهاني ثم توزع على الذكور منهم الطرايين (وهي اوانٍ دائرية طينية ذات اقسام) فيأخذ كل واحد منهم طريانة تحتوي على الفاكهة واللوز والجوز والرمان وغيرها من المواد. ان العيد الكبير هو عيد رأس السنة عند الصابئة، وانني اشبه الطرايين وهداياها بهدايا بابا نوئيل عند المسيحيين في عيد رأس السنة.

يخرج الفرد الصابئي من كرصته في اليوم التالي ويعايد اباه وامه قبل غيرهم ويقبل أياديهما ثم يعانق اخوته واخواته مهنئاً مباركاً. اما النسوة المصابات بنكبة بوفاة احد اقاربهن فيذهبن مبكرات الى المقبرة باكيات ناديات موتاهن ليعدن بعد الصباح الى الدور.

ثورة ١٤ تموز والتحولات

بدأ وضع الصابئة بعد الخمسينيات بالتحسن من حيث المأكل والملبس والسكن خاصة وقد تحسنت حالتهم المادية، فبدأوا يدخلون المطاعم ويأكلون اللحوم المذبوحة من قبل غيرهم، وبدأ قسم آخر من الشباب والفتيات يتزوجون من الاديان الاخرى، علماً ان الدين يحرم ذلك حرماناً قاطعاً، ويعد من يتزوج من غير الصابئية او الصابئي وكأنه خرج عن عقيدته ويبعد اسمه ونسله من العقيدة المندائية الصابئية. هذه الحالة اوجدت التحلل، والتحلل من العقيدة الدينية كثيراً مايقود الانسان الى مهاو اخرى.

لقد غير الكثير من الصابئة زيهم ولبسوا الملابس المدنية الحديثة من سترة وبنطلون وحلقوا لحاهم وقللوا من مأكولاتهم الاصلية التي كانت مقتصرة في اغلب اوقاتها على الالبان ومنتجاتها والاسماك وخاصة الاسماك النهرية المعروفة كالقطان والشبوط والبني والبز. وهم بطبيعة حالهم لايأكلون الجري وابو الزمير حسب ما جاءت به كتبهم الدينية، بقولها "لاتيخلون كريثا" أي لاتأكلوا الجري. واعتقد انهم يحرمون الاسماك التي لا صدف ولازعانف لها كالسمك الحجري.وهناك وصية عامة ردت كثيراً في كتب الصابئة تقول "لاتيخلون نوني ودلفوني" أي لا تأكلوا الحوت والدلفين.

اما من حيث الطهارة والسبح بالنهر فقد ابطل نهائياً عدا رؤساء الدين الذين يستعملون ماء النهر حتى في شربهم وتطهير اجسامهم من كل نجاسة. وقد استعاض الفرد الصابئي بالدوش، وبدأ يذبح على ماء الحنفية ويتطهر من النجاسة بالدوش والماء الحار شتاءً. ومن العادات التي ابطلت هو النجاسة من المتزوج ولمس المتوفي والنجاسات الاخرى التي لا داعي للقيام بها من قبل الفرد الصابئي.

كذلك تغير طعام "اللوفاني" وهو الوجبة الرئيسية التي تقام من قبل اهل المتوفي على روحه والمصحوبة بتلاوة معينة تقرأ بأسم المتوفي الديني وذلك عن اليوم الثالث والسابع والثلاثين والخامس والاربعين، اما الان فالطعام متوفر انما لاتقرأ فيه الفاتحة على روح المتوفي واصبح وليمة كريم للحاضرين . ولقد اصبحت تكاليف هذه الوجبة باهظة جداً على اهل المتوفي لولا ان الحاضرين للوجبات يقدون معاونة مالية لاهل الفاتحة. ولقد كلفت فاتحة المرحوم الشيخ عبد الله الشيخ سام رئيس الطائفة المتوفي في شهر شباط عام ١٩٨١ نحو الفين وخمسمائة دينار.

ان التكاليف الباهظة في ايام الفاتحة السبعة تعطي انطباعاً سيئاً وكلفة فوق طاقة اهل المصاب، ولا اعلم اهي "عزوبية" كما يقال في لغة العوام ام فاتحة؟

لقد كانت الامور الدينية ذات اثر فعال في نفوسنا وعلى اعمالنا، لكن لما كانت كل الطقوس تجري باللغة المندائية فلم نكن نفهم كلامها ولااسبابها او مسبباتها او تاريخها او من اول من عمل بها. ومن من الانبياء اجراها وأوصى بها؟ انما كل ما كنا نعلم ان الدين الصابئي يوحد الله وان هناك بعض الانحراف او الاعوجاج في قسم من الاديان الاخرى الذي يشم منه الشرك بالله، هكذا كنا نفهم، وان علماء الدين كانوا يوصون بعدم الاقتراب من منتسبي تلك الاديان حتى ولا لشرب الماء خاصة من اليهود فذلك نجاسة ويجب على المؤمن ان يتعمد ليتطهر منها بوصفها خطيئة. اما اقترابنا من الدين الاسلامي فقد كان مباحاً الى حد كبير، وذلك لان المسلمين يعتبروننا من اهل الذمة أي من غير المشركين.

والحال اننا عشنا بين اهل الشيعة الكثير العدد والمتعصبين عقيدة اما علاقتنا بالمسيحيين فقد كانت اخف وطأة من كل اهل الاديان الاخرى وذلك لاننا كنا نعتقد ان المسيح هو ابن خالة يحيى الذي نعتبره نبياً لنا ونقدسه نحن ونقول عنه انه كان خليفة ادم وشيث وانش وسام في العقيدة وروحها المندائية. بالرغم من ان يحيى جاء من ابوين يهوديين الا ان تعميده وتربيته على العقيدة المندائية وتعميده على الملاك (انش اثرا) واعتناقه او اتباعه العقيدة المندائية قد ازال منه التبعية للديانة اليهودية وقد ذكر في كتاب كنزا ربه (مصبتخ متفرقنخ من يهوديته الى منديوثه) أي ان العماد يخرج الانسان من اليهودية الى المندائية، ولما كان الصابئة على هذا الاعتقاد فأن قول احد كتبهم "دراشة اد يهيا" (دروس يحيى) اقرب الى التصديق من قول بعض المؤرخين ان يحيى عاش في البرية وتغذى على الجراد والعسل، فلو كانت هذه حقيقة تاريخية فكيف تعلم التعميد؟ وكيف بدأ يعمد الناس حين وصل الى الاردن بعد غيبة طويلة؟ وكيف عمد السيد المسيح بعد الحاح المسيح بذلك؟